نحو مناهج إسلامية

للدكتور محمد حامد الأفندي

الأستاذ ، ورئيس قسم المناهج وطرق التدريس

تربية اسلامية :

في القرآن الكريم ، اذا وعيناه وتدبرناه ، منهاج كامل للتربية ، من حيث : فلسفتها ، ومبادئها ، وأهدافها ، وأساليبها ، ووسائل التقويم فيها . وفيه عناية كبيرة بكل ما يهم التربية والفلسفة ، حيث يعالج نشوء الخليقة ، ونشوء الانسان ، وطبيعته ، وحيث يؤكد وجود النظام في المجتمع ، وفي الطبيعة ، وحيث يطلب تهذيب النفس ، وتقويم السلوك ، لتحقيق الاهداف التربوية السليمة .

وهدف التربية الاسلامية هو تكوين الفرد الصالح للحياة في المجتمع ، في الحياة الدنيا ، والذي يعمل لبلوغ السعادة في الآخرة .

والقرآن الكريم لم يدع للظروف ، ولا للاجتهاد الفردي ، شيئاً من الأسس والمبادىء التي تنفع الناس في أمور حياتهم في الدنيا ، وفي الآخرة . وفي ذلك يقول الله سبحانه « ما فرطنا في الكتاب من شيء » .

وما دامت التربية جوهرية في حياة الناس ، فلا بد أن تؤخذ فلسفتها ومبادئها من القرآن الكريم ، ولا تترك لمن تستهويهم المبادىء المستوردة ، وتأسرهم الأفكار المتطرفة ، من يسارية ورجعية ، ومتأرجحة بين هذه وتلك .

لقد آن الأوان — بعد أن أثبتت التجربة العملية ، فشل كل النظم التربوية الدخيلة علينا في كل شيء ، وعجزها عن تربية الفرد والمجتمع ، في الشرق والغرب على سواء — آن الأوان أن نرجع إلى كتاب الله ، والى سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن نتدبرهما ، لنخرج بنظرية تربوية اسلامية متكاملة ، نطبقها ، ونثبت للعالم عن طريقها ، أن فيها خلاصة من الهاوية التي تردى اليها ، وأن فيها هداية الضال ورشاد الحائر .

وسألجأ ، في هذه المحاولة ، الى الاستدلال بآيات من كتاب الله في كل ما أسعى الى اثباته من أسس التربية الاسلامية ومبادئها .

التربية العصرية تختلف :

ولكن ، لا بد من كلمة أولاً ، عن التربية العصرية ، وما آل أمرنا معها .

في غير العالم الاسلامي ، تقوم التربية العصرية في الشرق والغرب على احد افتراضين :

ا — اما التنكر للدين .

ب — واما الفصل بين الدين والدنيا .

وفي كلا الافتراضين تركز التربية المدرسية على أمور الدنيا ، وتهمل أمور الدين . ومن هنا جاء تحديد أهداف التربية — دائماً — بأنها اعداد الفرد للعيش في سلام وهناء مع نفسه ومع مجتمعه . ويتدرج المجتمع المقصود من مجتمع القرية أو المدينة الى مجتمع الدولة ثم الى المجتمع العالمي .

والتربية الاسلامية تختلف عن ذلك اختلافاً جوهرياً . فهي تقوم أساساً على الاهتمام بأمور الدين والدنيا — معاً — . وتجعل رعاية أمور الدين . واداءها على خير وجه باباً للسلام وعيش المرء في هناء مع نفسه . ومع مجتمعه . وسائر أفراد الانسانية .

والتربية الاسلامية تعتبر الحياة . بكل ما فيها . وسيلة لا غاية . فهي معبر يعبر عليه الانسان الى الحياة الحقيقية . وهي الحياة الآخرة . . . التي ينتقل اليها بعد الموت .

وهنا نقطة خلاف أساسية بين التربية الاسلامية والتربية العصرية . تلك هي تحديد الهدف

أ — فالتربية العصرية تعتبر السعادة في هذه الحياة هدفها الأخير .

ب — والتربية الاسلامية تعتبر سعادة هذه الحياة وسيلة لهدف أسمى . وهو السعادة في الحياة الآخرة.

وهذا الاختلاف في تحديد الهدف ، يؤدي — بدوره — الى اختلاف في الوسائل والأساليب :

أ — فالتربية العصرية تعتبر كل ما يوفر الراحة والرفاهية في الحياة . من أسباب السعادة . وقد تختلط الأمور في هذا المعنى . اذا تعارضت مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع . او تعارضت مصلحة المجتمع ومصلحة الفرد . وحينئذ قد تطغى الانانية ، اذا تغلبت مصلحة الفرد . أو قد يعيش الفرد مضغوطاً عليه ، مكتومة عواطفه وانفعالاته . اذا تغلبت مصلحة المجتمع .

ب — أما التربية الاسلامية . فلا تعتبر سعادة الدنيا كل شيء . ولا تعتبر مقاييس السعادة هي نفس مقاييس التربية العصرية . فسعادة الانسان في التربية الاسلامية تقوم على اقتناع عقلي ونفسي وروحي ، وتعتبر تحمل الأذى في سبيل الآخرين والتضحية من أجلهم . وبذل النفس والنفيس لمساعدتهم . كل ذلك من أسباب السعادة النفسية . التي ينتظر الانسان من ورائها مصيراً أسعد . وحياة أفضل في الآخرة .

والفصل بين الدين والدنيا . في التربية غير الاسلامية . شكل معاهد التعليم وحدد وظائفها . فهناك مدارس مدنية . وأخرى دينية . والمدارس المدنية هي التي ترعاها الدولة ، ويهتم بها الافراد والهيئات المدنية . ولا تقوم المدارس الدينية الا في رحاب الكنائس والمعابد والهيئات الدينية . ومن أراد تعليم أبنائه شيئاً من أمور دينه . ألحقه بهذه المدارس .

أما في الاسلام ، فلا فصل بين الدين والدنيا . والتربية الاسلامية تتناول الجانب الديني والجانب الدنيوي من حياة الفرد ، بوصفهما وجهي عملة واحدة . وعلى أنهما مكونان لشخصية الفرد . وجانبان من مقوماتها . لا يمكن الفصل بينهما . ولا العناية بأحدهما وترك الآخر .

وكل مناهج التعليم غير الديني — على اختلاف مستوياته وفروعه في نظم التربية غير الاسلامية . مركزة على المعارف والمعلومات والتجارب والخبرات ، التي يكتسبها الانسان في الحياة . والتي يستطيع أن يستخدمها لترفيه عيشه . وتوفير أسباب النعمة والراحة والعز في حياته .

أما مناهج التعليم الاسلامي . فهي تعني بذلك كله ، ولكنها تتخطاه وتتجاوزه الى حياة أخرى أسمى وأفضل . واذا كانت التربية غير الاسلامية تعتبر سعادة الدنيا هدفها الأسمى ، وغايتها النهائية ، فان التربية الاسلامية تنظر الى هذه السعادة على أنها مرحلة في الطريق الى الغاية . ووسيلة من وسائل تحقيق الهدف .

غفلة وتقليـــد :

هذه الخلافات الجوهرية ، والفروق الاساسية ، بين ما هو اسلامي ، وما هو غير اسلامي في أمور التربية ؛ يغفل — او يتغافل — عنها القائمون على شئون التربية في العالم الاسلامي في هذه الأيام .

لقد خدعهم عن مبادىء دينهم وتعاليمه — وهي أوضح من أن تخفى على أحد — ، ما وجدوا من ضعف سياسي واقتصادي قد وان على الدول الاسلامية — بصفة عامة — وما احرزه الغربيون والشرقيون من تقدم مادي ، وتفوق سياسي ، وما استطاعوا بلوغه من نهضة صناعية واقتصادية . وظن المسلمون أنهم — لمجرد تقليد التربية غير الاسلامية ، ونقلها بشكلياتها ونظمها — سوف يبلغون من التقدم الاقتصادي والصناعي والسياسي ، ما بلغته الدول التي يقلدونها .

وبذلك ظهرت في العالم الاسلامي ، نظم تربية وتعليم شرقية غربية ، هدفها الاعداد للحياة الحاضرة ، وغايتها اعداد المواطن الذي يستطيع أن يخدم نفسه ويعمل على رفاهة مجتمعه .

وما لبثت مناهج التعليم في العالم الاسلامي ، أن أصبحت مقلدة ، ومسخاً مشوهاً للمناهج والنظم غير الاسلامية وصارت بنياناً غريباً على الأمة الاسلامية ، لا يتفق مع مبادئها ، ولا يحقق غاياتها ، ولا يتبع أساليبها ووسائلها .

ونتج عن ذلك ان التعليم لم يؤد رسالته ، فلا هو بلغ بالمسلمين — في أمور الدنيا — ما بلغ بغيرهم ، ولا هو أرضى نزعاتهم ، واستجاب لمشاعرهم ، وحقق ميولهم ، وأشبع الاتجاه الديني المتأصل في نفوسهم .

صورة شـــوهاء :

وما تزال صورة التعليم في كثير من بلاد العالم الاسلامي ، هي هذه الصورة الشوهاء التي نقلها عن غير المسلمين ، فلا هو بلغ ما بلغوا ، ولا هو احتفظ بأصالته ، وحافظ على كيانه .

واذا نظرنا من حولنا — في هذه البلاد الاسلامية — لوجدنا عجباً أن مناهج التعليم قد انشطرت شطرين متميزين ، كل منهما يسير في واد ، ولا تربطه بالآخر رابطة ، فهناك التعليم المدني ، والتعليم الديني ، تماماً كما هي الحال عند غير المسلمين . وللتعليم المدني مدارسه ومعاهده وكلياته وجامعاته ، وللتعليم الديني مثل ذلك من المدارس والمعاهد والكليات والجامعات .

وأصبحنا نجد في العالم الاسلامي رجال دين ورجال دولة ، وثقافة دينية ، وأخرى مدنية ، وكل ذلك بعيد عن مبادىء ديننا ، منقول عن غيرنا ، دون وعي ، وبغير تفكر ولا تدبر .

وهذه الحقيقة الواضحة ، التي لا تقبل الجدل ، ولا تحتمل المناقشة ، تدعو الى تغيير جذري أساسي ، في مناهج التعليم ونظمه في البلاد الاسلامية ، التي سارت وراء غايات غير غاياتها ، واتخذت وسائل فختلف عما تقتضيه طبيعة أهدافها .

واذا كانت التربية غير الاسلامية تجري عمليات تقويم مستمر ، لتحسين مناهجها وتطوير أساليبها ، ونحن — كذلك — في العالم الاسلامي ، في أشد الحاجة الى وقفة متجردة ، موضوعية ، بعيدة عن التعصب ، خالية من الاندفاع ، لنجري تقويماً سليماً على أسس علمية ، لمناهجنا ونظم تعليمنا .

الغاء الازدواجيـــة :

وفي ضوء مبادئنا وتعاليم ديننا ، وتحقيقاً لأهدافنا وغاياتنا ، ينبغي ألا تكون هناك ازدواجية في التعليم ،

لأن التعليم المدني . ما هو الا رافد من روافد التعليم الديني . وكل ما هو مرتبط بأمور الدنيا ، وما هو مرتبط بأمور الآخرة . هو تعليم ديني نصاً وروحاً . فما ينبغي أن تقرر دراسات دينية . لا يعرف دارسوها شيئاً من أمور الحياة الحاضرة . ولا أن تقرر دراسات دنيوية لا يحيط أصحابها بكل ما يجب عليهم علمه من أمور الآخرة .

ولا مجال لانكار التخصص . مع اتساع المعرفة . والعجز عن الاحاطة ببعض اسرارها . فضلاً عن الالمام بها .

ولكن التخصص — مهما كان مجاله — لا ينبغي له أن يغفل الاوليات المسلمة . وهي أنه لا فاصل بين أمور الدين والدنيا . وأن من يتخصص في جانب . لا تكتمل شخصيته ولا يتم تكوينه . بل يصير عالة على مجتمعه . وكلاً على غيره . اذا لم يعرف من أمور دينه كل ما تلزمه معرفته . واذا لم يأخذ من أمور دنياه . ما يوفر له العيش امن الهانيء بين اخوانه وابناء جنسه .

ويجدر بنا — بعد ذلك — أن نحدد أهداف التربية الاسلامية :

أهداف التربية الاسلامية :

معرفة الله وتقواه هي الهدف الأعلى للتربية الاسلامية . وتتفرع عن هذا الهدف عدة أهداف . منها التربية الفردية والتربية الاجتماعية .

التربية الفردية :

فأما تربية الفرد فتستدعي أن يتعلم عدة أمور :

أ — منزلته بين سائر المخلوقات .

ب — مسئولياته الفردية في الحياة .

ج — مسئولياته في المجتمع الانساني .

د — علاقاته الاجتماعية .

هـ — علاقاته بالكون ومظاهره . والبحث لاكتشاف قوانينه . ليتمكن من استثمارها .

و — حكمة الخالق في ابداع الخليقة .

وهذه الأمور يمكن أن يتكون منها منهج تربوي اسلامي . في غاية الروعة .

ونحن نأخذها كلها من القرآن الكريم . ونستدل عليها بآياته .

أ — معرفة الله :

أول ما ينبغي أن تعمل مناهج التربية الاسلامية الى تحقيقه . هو معرفة الله . — فالله — وحده — هو خالق الكون كله ، وهو البارىء المصور . وهو رب العالمين ومربيهم . وله الحمد في الدنيا وفي الآخرة . لا إله غيره ، ولا عبادة الا له اليه المرجع والمآب . واليه المأوى والمصير . وهو الأول والآخر . والظاهر والباطن . وهو رب العرش العظيم .

والتعرف الى الله ، وتقواه ، وضرورة ذلك لكل مسلم . تنطق بها آيات القرآن الكريم . فهي الركن الأساسي بين أركان التربية الاسلامية . تنبعث منها . وترتبط بها أوثق ارتباط كل حياة الناس ، ومعاملاتهم ، وعلاقاتهم بعضهم ببعض ، أفراداً وجماعات . وينظم سائر أمورهم .

ب – تكامل الشخصية :

« اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشراً من طين . فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا لـــه ساجدين . . . » . (سورة ص : ٧١ – ٧٢) .

ويعني هذا ان الانسان مادة وروح . متفاعلان . ومتكاملان . ومرتبطان . ولذلك فنحن نرفض نظرة الماديين ، الذين لا يرون في الانسان الا الكيان المادي المكون من فيزياء وكيمياء . وسلوك آلي ميكانيكي . ونرفض كذلك نظرة الذين ينظرون الى الانسان على أنه روح . متجردة عن المادة . ومزدرية لها . فتهمل الحياة . وتنكر التمتع المتزن بطيباتها .

والذات الانسانية موحدة . لا ينفصل فيها العقل والعاطفة والفعل عن بعضها البعض . والمسلم الذي يتقي ربه . لا يغش في معاملة الناس . ولا يختلف مظهره عن مخبره . ولا يصلي جهراً . وهو يقامر أو يسكر سراً .

وكما أن هناك ارتباطاً بين المادة والروح . فهناك ارتباط – أيضاً – بين الفكر والعمل . وبين العبادة والسعي في سبيل العيش . وبين اللذة والجهد وبين المثالية والواقعية .

ولهذا يجب أن تهتم مناهج التربية الاسلامية . بوحدة الانسان وتكامل شخصيته . وأن تنظر اليه على أنه مختلف عن الحيوان . ومرتفع عنه . ولكنه ليس مخلوقاً أسمى . ليس فوقه شيء . وبهذا تضعه في مكانه الصحيح ، لا تنزل به دونه ، ولا ترتفع به عنه .

جـ – مكانة الفرد ومنزلته :

« واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة . قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء . ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ . قال اني أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها . ثم عرضهم على الملائكة . فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا . سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا ، أنك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم . فلما أنبأهم بأسمائهم . قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والأرض . وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » .

(سورة البقرة ٣٠–٣٣)

الانسان خليفة الله في الأرض . ولديه الاستعداد لأن يتعلم وأن يعلم . لا يمنع من ذلك أن في الناس المفسد . وسافك الدماء . وهؤلاء – كغيرهم – في حاجة الى أن يعلموا ، وأن يوجهوا التوجيه الصحيح . ومن حسن علمه وتعلمه ، واستفاد منهما في سلوكه . وفي اخلاص العباده لربه . يصبح أهلاً لأن يكون خليفة الله في الأرض . « ولقد كرمنا بني آدم . وحملناهم في البر والبحر . ورزقناهم من الطيبات . وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً » (الاسراء ٧٠) .

للفرد كرامته ومنزلته . فقد جعله الله أفضل من كثير من المخلوقات . فلا نحط من قدره . ولا نلجأ الى ما من شأنه اهدار كرامته والنيل منها .

ومن تكريم الله للانسان أنه سخر له البر والبحر . وحمله فيهما . وأنه رزقه من الطيبات . فينبغي أن تعلم المناهج الانسان كيف يبذل جهده في التعرف على ما سخره الله له . وكنف يستفيد من الطيبات

التي رزقه بها ، ويجتهد في اكتشافها ، والتعرف على كل ما فيها من مميزات . وما لها من فوائد ، تعود عليه بالخير في معاشه وفي أمور حياته .

د – المسؤولية الفردية :

« ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبداً . لقد أحصاهم وعدهم عداً ، وكلهم آتيه يوم القيامة فردا » . (مريم ٩٣ – ٩٥) .

والمناهج في التربية الاسلامية تعمل على اعداد الفرد الذي كرمه الله ، وأعد له الطيبات ، ورزقه بها ، وسخر له البر والبحر ، بحيث يرتفع الى مستوى المنزلة التي أرادها الله له ، ويعمل على الحفاظ عليها ، بشكر المنعم ، وطاعته والامتثال لأمره ، فلا يسيء استغلال مكانته ، ولا يطغى او يتجبر أو يكفر . واذا سولت له نفسه أن يفعل ذلك في أي وقت ، مع أي أحد ، فكيف يتوهم أن يفعله مع خالقه والمنعم عليه ؟ وهل هو الا عبد لله ، سيأتيه يوم القيامة فردا ، لا نصير له ، وسيجزي الجزاء الاوفى بما قدمت يداه .

وينبغي أن تعمل المناهج على تنشئة الفرد ، العارف بمنزلته ، المعتز بها ، الشاكر عليها ، الممتثل بسببها لامر ربه ، المطيع له ، والشاكر لنعمائه ، حتى اذا عاد الى الله يوم القيامة ، لقيه ، وليس عليه شاهد بذنب .

« ولا تكسب كل نفس الا عليها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى » . (الانعام ١٦٤)

« وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً . اقرأ كتابك ، كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً » . (الاسراء ١٣ – ١٣)

ومناهج التربية الاسلامية ترسخ في نفس الانسان مسؤوليته عن عمله وأنه مجزى عليه بالخير خيراً ، وبالشر شراً . وأن أحداً لا يتحمل عن أحد وزره ، وأنه لا ينال العقاب الا المذنب نفسه ، دون بديل أو نائب ، أو مفتد . وليست هناك فدية تدفع ، ولا رشوة تقبل .

وتعمل مناهج التربية الاسلامية على تكوين الشخصية التي تحمل المسؤولية والتي لا تعتمد على حسب أو نسب ، والتي تتقن العمل اتقاناً ، دون حاجة إلى رقيب من البشر ، وبوازع من الضمير ، والايمان الشخصي الصادق ، والتي تعمل حساباً ، وألف حساب ، للأهداف البعيدة وتضع الخطط السليمة لبلوغها ، دون انتظار لظهور الآثار السريعة وحدها ، فان لم تظهر اختلت القيم ، وجحدت المبادىء . فلكل انسان طائره في عنقه ، وكل انسان سيجني ثمار جهده وتعبه ، ولن يمدح شخص على عمل قام به غيره ، ولن يجحد له ثواب ما قدمه . وسوف يأتي اليوم الآخر ، الذي يستعيد فيه شريط حياته وأعماله كلها ، يراها واضحة أمامه بالصوت والصورة والحركة وساعتئذ سوف يحاسب نفسه ، وكفى بنفسه عليه حسيبا .

والانسان الذي يستعد لليوم الآخر استعداداً حسناً هو الذي يستطيع أن يخطط لحياته الفردية والاجتماعية على احسن وجه .

هـ – الحرية الفردية الموجهة :

ومناهج التربية الاسلامية توجه الفرد ، وترشده ، وتبين له الصواب والخطأ ، والحلال والحرام ، وتطلق له – مع ذلك – حرية الفكر واختيار الطريق الذي يسير فيه ، واتخاذ القرار الذي يلائمه .

« يا بني آدم : خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا ، واشربوا ، ولا تسرفوا » (الأعراف : ٣١)

فالظهور بالمظهر اللائق ، وارتداء الزي المناسب ، والمحافظة على النظافة ، وكل ما يبرز الانسان في صورة تدعو الى الاحترام ، أمور ينبغي أن تغرسها التربية في نفوس الناشئة ليشبوا عليها ، وحتى تتكون منهم أمة غنية المظهر والمخبر ، نظيفة السيرة والسريرة ، تفرض هيبتها وتوقيرها على سائر الأمم . . . وتعود التربية الاسلامية الناشئة على الاعتدال — مع ذلك — في كل شيء ، حتى في المأكل والملبس ، وتنفرهم من الاسراف في كل ما يقولون وما يفعلون . وينبغي أن تتضمن مناهج التربية كل ما يتعلق بأمور الصحة الجسمية والنفسية ، من التعريف بما يريح النفس ويوفر لها الطمأنينة في الحياة ، كالتزين عند الصلاة ، ولقاء الناس في المساجد ، والوقوف أمام الله في العبادة ، واذا كان ذلك يحدث خمس مرات في كل يوم ، فلن تكون هناك فرصة للتخلي عنه طول أوقات اليوم . . . ومن التعريف بما يحفظ للجسم صحته واعتداله ، حتى لا يمرض من جوع أو عطش ، ولا يصاب بالبطنه من كثرتهما ، وما يترتب على ذلك من التعرف على أنواع الأطعمة والشراب ، وما يحتويه من عناصر غذائية ، وما يلزم منها لكل جسم ، في كل حالة من حالات صحته ، ودراسة الطب من ألزم ما يحقق هذه الأمور .

« يأ أيها الذين آمنوا : انما الخمر والميسر والانصاب والأزلام ، رجس من عمل الشيطان ، فاجتنبوه ، لعلكم تفلحون » (المائدة : ٩٠) .

ويتصل بدراسة الطب ، والتعرف على ما يضر الانسان ، وما ينفعه في جسمه وفي نفسه ، أن يتجنب الفرد ، ما قد يخدعه مظهره ، ويؤذيه مخبره .

ولا بد من أن تتضمن مناهج التربية الاسلامية كل ما يثبت هذه المعاني في النفوس ، فتربي في الناشئة قوة الارادة ، وعدم الانخداع بالمظهر ، وعدم الجري وراء الشهوات ، والانسياق وراء السراب ، الذي لا غناء عنده ، ولا ريّ معه ، فقد أحل الله الطيبات للناس ، ولكنه حرم عليهم منها ما يضرهم في نفوسهم وفي أجسامهم ، فالشراب الطيب مباح ، والخمر يذهب بالوقار ، ويسكر العقل ، فهو حرام ، والتمتع بما خلق الله من خيرات ، وبما يبعث البهجة في النفوس ، ويرفع مقومات الأفراد ، أحله الله ، وأباحه للناس ، ولكن البهجة التي قد تنقلب غماً وحسرة ، والسرور الذي يجلب الحقد والعداوة ، ويؤدي الى الأسى والحزن عند الآخرين ، لا يرتضيه الاسلام ، ويحرمه على المسلمين ، ومن ذلك الميسر ، وما على شاكلته من ألوان اللهو المحرم ، واذا كان ما يفعله الانسان ينتقص من كرامته ويهدر آدميته ، ويسيء الى العقل ، والقدرة على التفكير السليم ، التي منحها الله الانسان ، فانه يكون حينئذ محرماً عليه ، يجب عليه تجنبه كالانصاب والأزلام .

وهكذا ينبغي أن تغرس مناهج التربية الاسلامية في نفوس الناشئة ، احترام العقل والنفس والجسم ، والبعد عما يسيء اليها ، وتجنب ما يؤذيها ، أو يهدد كرامتها وشخصيتها .

« لا اكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي » (البقرة : ٢٥٦) .

« . . . أفأنت تكره الناس ، حتى يكونوا مؤمنين ؟ » (يونس : ٩٩) .

« قل يأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم ، فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ، وما أنا عليكم بوكيل » (يونس : ١٠٨) .

وحرية التفكير ، والاستدلال ، واستعمال المنطق ، والنظر فيما خلق الله ، والتأمل في الكون ، ومظاهره ، وأسراره ، وقوانينه ، كل ذلك ينبغي أن تكفله مناهج التربية الاسلامية للدارسين ، وأن تمدهم بكل أدواته ،

وبجميع وسائله . وكل الأفراد — بعد ذلك — على اختلاف مستوياتهم العقلية وعلى تباين قدراتهم في فحص الأمور . واستخلاص النتائج . واستخدام الأساليب العلمية والمنطقية الصحيحة . كلهم سيصلون الى الايمان بالله . والتعرف على وجود الله من مخلوقاته . وسيتبين لهم الرشد من الغي . والهدى من الضلال ، ولن ينحرف عن ذلك الا مكابر . ولن يمارى فيه الا من يخدع نفسه . ويلغي عقله . وحينئذ لا اكراه في الدين » فليسدر في غيه . وسوف يلقى — عند الحساب — جزاءه . فانه انما يخدع نفسه وحدها . ولا يغش غيرها .

فمناهج التربية الاسلامية تكفل حرية الفكر ولا تحجر على التصرف . بعد أن توجه . وترشد . وتبين الرشد من الغي . فمن انحرف عن صفوف المسلمين ، فسيلقى الجزاء على اهدار عقله ، وعلى تضليل تفكيره . وخداع نفسه . أما من يسير في صفوف المسلمين . فلا يحق له أن يتسبب في اعوجاج الصف . ولا في أن يخرج عن المسيرة . الاستقامة واجبة . والمحافظة على النفس وعلى أخوة الاسلام أساسية وضرورية .

وبهذا تبلغ مناهج التربية الاسلامية منتهى ما يمكن بلوغه . في تكوين الشخصية السوية . المتكاملة . « واذا قيل لهم : تعالوا الى ما أنزل الله . والى الرسول . قالوا : حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا . أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً . ولا يهتدون ؟ » (المائدة : ١٠٤)

ومتى بلغ الفرد مبلغ المسئولية . فليس له أن يهدر عقله . ولا أن يغلّ تفكيره . أو يلوي عنق منطقه . يجب أن تعلمه مناهج التربية الاسلامية ، استقلال الرأي . واستخدام العقل . والبعد عن التقليد الأعمى . والا يكون امعة بين الناس . ولا ذيلا للآخرين . لأن عطاء الله له أثمن من أن يهدر . وأكرم من أن يمتهن . وأغلى من أن يفرط فيه . . . أما الأمعات ، العالة على الناس في تفكيرهم . وفي منطقهم ، وأما الذين يشلون تفكيرهم ، ويقلدون غيرهم . دون تبصر . وبغير فهم . فهؤلاء يهدرون الآدمية التي خلق الله فيهم . ويمتهنون الكرامة التي أنعم الله بها عليهم . فويل لهم من عذاب أليم . يوم لا ينفعهم ما كان عليهم آباؤهم . وساروا وراءهم فيه عنادا . ومكابرة . أو دون تعقل وتدبر . فهم الخاسرون عندما تجري عملية التقويم والحساب .

و — المسؤولية الاجتماعية :

ويجب أن يغرس منهج التربية الاسلامية في النفوس أن النظام الاجتماعي في الاسلام يقوم على الوحدة والاخاء والمساواة وعلى التعاون والمشورة . وينكر الديكتاتورية . ولا يقر الغوغائية .

« ان هذه أمتكم أمة واحدة . وأنا ربكم فاعبدون » (الأنبياء ٩٢) .

« واعتصموا بحبل الله جميعاً . ولا تفرقوا » (آل عمران ١٠٣) .

الأمة الاسلامية واحدة . لا فضل فيها لعربي على عجمي . ولا لأبيض على أسود . والمسلمون يد واحدة . وقلب واحد . اذا اشتكى منهم عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهر . يفرق بينهم شيء واحد هو مقدار تقواهم لله وخشيتهم عقابه ، وايمانهم به واعتصامهم بحبله ومقدار عملهم على وحدة المؤمنين ، وتجميع كلمتهم . ومساعدتهم الضعيف حتى يقوى . والمريض حتى يبرأ ، والمحتاج حتى يستغني ، على البر والتقوى . وعدم تعاونهم على الاثم والعدوان .

ومناهج التربية مسؤولة عن تربية المجتمع ، الذي تتوافر فيه هذه الصفات وتتحقق فيه الوحدة ، دون نظر لعرق ولا جنس ولا لون . ويتحقق مع مساواة المسلمين ووحدتهم وجمع كلمتهم ، اعترافهم الكامل ،

وعملهم الصادق . واخلاصهم التام لربهم وخالقهم . فسيعبدونه وحده دون شريك . ومن غير رياء ولا نفاق . ويعرفون أن النزاع فيما بينهم يضرهم جميعاً وأن الفرقة تهلكهم . وتقضي عليهم . وتمكن أعداءهم منهم .

و ـ العلاقات الاجتماعية :

١ ـ الأخاء والمساواة :

« انما المؤمنون اخوة » (الحجرات ١٠)

« يا أيها الناس : انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبايل لتعارفوا . ان اكر مكم عند الله أتقاكم » (الحجرات ١٣) .

« ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم . . . » (الروم ١٢) .

وتهتم مناهج التربية الاسلامية باعداد الافراد الذين يؤمنون بأن المؤمنين اخوة . ليسوا مجرد أصدقاء . أو زملاء . أو رفقاء طريق . وليست وحدتهم مجرد شكل مظهري . أو نظام دستوري . أو مجالس تقليدية . بل هي وحدة حقيقية قائمة على أساس من الأخوة المتينة . يوافق فيها المخبر المظهر . والباطن الظاهر . وهم يد على من سواهم من غير المؤمنين . وقلب واحد في طاعة الله .

وتغرس المناهج الاسلامية في النفوس أن المؤمنين متساوون . لا محسوبية في الاسلام . وقد خلق الله الناس جنسين : ذكر وأنثى ، كل له وظيفته في الحياة وله قدره ومنزلته . لا يقلل جنس من قدر الآخر . ولا يتعارض معه . ولا يستغني عنه في عمارة الكون . والحفاظ على الجنس . كما خلق الله الناس شعوباً وقبائل . لهم لغاتهم . وأجواؤهم . وطبيعة بلادهم . وأسلوب حياتهم . تفرق بينهم المسافات وتبعد بينهم الشقة . فهم مدعوون إلى أن يتعارفوا ، ويتصل بعضهم ببعض اتصال الأخ بأخيه . وعليهم أن يتعلموا اللغات التي يتفاهمون بها ، ويدرسوا طبيعة البيئات التي يعيشون فيها . وأن يستخدموا . ويخترعوا . رسائل الاتصال والانتقال وكل ما يربط بينهم . ويوحد كلمتهم ، ويحقق أخوتهم ومودتهم .

وخير الأمم والشعوب في ذلك ، وأعلاهم منزلة . وأفضلهم درجة . وأكرمهم على نفسه وعلى غيره . هم الأكثر عبادة لله واخلاصاً له وايماناً به وتقوى له .

وتعمل مناهج التربية الاسلامية على أن تحقق أخوة المسلمين . وأن توجد من الدراسات والأسباب ما تحقق به صلة الأخ بأخيه . من تعلم لغته . والاتصال به هاتفياً . والسفر اليه براً وبحراً وجواً بجميع وسائل الانتقال . ودراسة بيئته جوا ومناخاً وطبيعة ، أرضاً وسماء ، زراعة وتجارة وصناعة . وأن تكون غاية ذلك كله شكر الله على نعمة ، والاخلاص في عبادته ، وتقواه . والتدبر في خلق السماوات والأرض . وكم في الأرض والسموات من آيات . يجب أن يعمل الانسان جهده بجميع الأساليب التي يهديه اليها عمله ليقف عليها . ويستفيد منها ، ويسخر ما استطاع منها لفائدة الانسان .

٢ ـ التعاون الاجتماعي :

« وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » (المائدة ٣) . تأكيداً لمعنى الوحدة بين صفوف المسلمين ، وتعميقاً لمعنى الأخوة في نفوسهم ، تعمل مناهج التربية الاسلامية على تنشئة الأفراد على التعاون فيما بينهم . فما استحق الحياة من عاش لنفسه فقط ، ولكن هذا التعاون له حدوده . وله

مبادئه ، فهو تعاون على الخير . وهو تعاون على ما فيه مصلحة الفرد والمجتمع . وهو تعاون على طاعة الله وامتثال اوامره ، وهو تعاون على البر والتقوى . لا تدخل فيه عصبية جاهلية ، ولا تشوبه نفرة للشر ، وتلاحم في ارتكاب الآثام . والعدوان على حقوق الآخرين . وليس فيه أخذ أعمى بالثأر . وليس فيه أحلاف بين الدول للاعتداء على دول أخرى ، واحتلال أراضيها بالقوة ، واغتصاب خيراتها وحرمان أهلها منها .

مناهج التربية الاسلامية تربي الأفراد والمجتمعات على ادراك هذه المعاني والتمسك بها . وأن الله الخالق هو الغاية في كل عمل ووراء كل شيء .

٣ – الشورى ولين الجانب :

« فبما رحمة من الله لنت لهم . ولو كنت فظاً غليظ القلب . لانفضوا من حولك . فاعف عنهم . واستغفر لهم . وشاورهم في الأمر (آل عمران ١٥٩) .

« . . . . وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا . وعلى ربهم يتوكلون . والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش . واذا ما غضبوا هم يغفرون . والذين استجابوا لربهم . وأقاموا الصلاة . وأمرهم شورى بينهم ، ومما رزقناهم ينفقون » (الشورى ٣٦ – ٣٨) .

ومناهج التربية الاسلامية ، تعمل على تكوين الفرد المتصف بالاخلاق الحميدة . لين العريكة . رقيق القلب . الذي لا يقسو في معاملته مع الآخرين . ولا يحيف عليهم . والذي يستطيع أن يضمهم إلى صفه . ولا ينفرهم منه . ويعفو عمن أساء ، اذا كان في العفو عنه اصلاح له . وتوجيه لغيره ، ويلتمس له العذر . ويقبل اعتذار المعتذرين . ثم لا يكون مستبداً برأيه . ولا عازفاً عن قبول النصيحة . وإنما يستشير ويخضع لرأي الجماعة . ويعمل معها وفي صفوفها .

٤ – روابط الأسرة :

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا . لتسكنوا اليها . وجعل بينكم مودة ورحمة . ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » (الروم : ٢١) .

وتتضمن مناهج التربية الاسلامية . اعداد الشباب من الجنسين . ليكونوا أزواجاً صالحين . تستقيم بهم حال الأسرة ، وتقوى روابطها . وتقوم أواصر العلاقة بينهم على أنهم جميعاً ، ذكوراً وأناثاً . من نفس واحدة . ولا تنافر . ولا شقاق بين النفس الواحدة . بل يسكن الزوج الى زوجه . وتسكن الزوجة الى زوجها . ويشعر كل منهما تجاه الآخر بالمحبة والمودة والرحمة . ومتى تحقق ذلك . تكونت الأسرة السعيدة . ونشأ ابناؤها في بيئة صالحة . فتعاطف بعضهم مع بعض . وتحابوا . . ثم تكونت المجتمعات الصغيرة والكبيرة – بعد ذلك – من مجموعات من الأسر ، كلها متحابة متعاونة ، وبذلك يصلح المجتمع الانساني كله .

٥ – التراحم والتكافل :

والمجتمعات المترابطة المتراصة . يعطف افرادها بعضهم على بعض . ويؤدي كل منهم ما عليه من حقوق للآخرين ، ولا يهمل في أداء واجباته . ويعطف القوي م على الضعيف . والغني على الفقير فلا يظلم أحد أحدا . ولا يأكل أحد حق أحد . وتكون معاملات الأفراد خالية من الاستغلال ، وانتهاز الفرص ، وتحين الحاجات للاضرار بالآخرين .

كل هذا ، من أهم واجبات المناهج الاسلامية ،أن تغرسه في النفوس ، وأن تعمل على تطبيقه عملياً ، الى جانب دراسته نظرياً .

«الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية . فلهم أجرهم عند ربهم . ولا خوف عليهم ، ولاهم يحزنون » (البقرة : ٢٧٤) .

« وأن ليس للأنسان الا ما سعى . وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى »
(النجم : ٣٩ — ٤١) .

« والذين في أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم » (المعارج : ٢٤ ، ٢٥) .

والذين يكنزون الذهب والفضة ، ولا ينفقونها في سبيل الله ، فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها في نار جهنم ، فتكوى بها جباههم ، وجنوبهم ، وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم ، فذوقوا ما كنتم تكنزون » (التوبة ٣٤ ، ٣٥) .

« وأحل الله البيع ، وحرم الربا » (البقرة : ٢٧٥) .

« يمحق الله الربا ، ويربي الصدقات » (البقرة : ٢٧٦) .

ز — النظم والعلاقات الدولية :

وتتضمن مناهج التربية الاسلامية ، الأسس التي ينبغي أن تقوم عليها النظم ، والعلاقات الدولية ، الى جانب ما ينبغي ان يكون عليه الفرد والمجتمع .

« ان أريد الا الاصلاح ما استطعت » (هود : ٨٨) .

فعلاقة الحاكم بالمحكوم ، وعلاقة الناصح بمن يقدم اليه النصح ، وعلاقة المؤسسات الاجتماعية في كل دولة بعضها ببعض ، والعلاقة بين الدول ، كلها ينبغي أن تقوم على أسس من المصلحة العامة ، والمنفعة المشتركة ، والخير المتبادل ، والاصلاح في كل الأمور ، واذا نشأ الناشيء على ذلك ، لم تعد هناك حاجة الى مجالس للأمن ، وإلى المحاكم الدولية ، ولم تعد القوة تفرض سيطرتها ، ووسائل الاهلاك والدمار والافساد ، تعمل عملها .

« وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين » (البقرة : ١٩٠)
« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » الانفال : ٦٠)

ومناهج التربية في الاسلام ، حين تدعو الى الاصلاح ، وتطالب بعدم الاعتداء ، لا تعني الاستسلام للخنوع ، ولا الرضا بالمذلة ، فالمؤمنون خير أمة أخرجت للناس ، ولذلك يجب أن يكونوا أقوياء ، أشداء ، وأن يحافظوا على كرامتهم ، ويصونوا منزلتهم ، وأن يردوا عن أنفسهم اعتداء المعتدين ، وأن يتسلحوا لذلك بكل وسائل القوة التي تتاح لهم ، شريطة ألا يغريهم ذلك بمحاولة التسلط ، والتجبر ، والاعتداء على حرمات الآخرين ، وانتقاص حقوقهم ، أو اهدار آدميتهم ومن يفعل شيئاً من ذلك ، فان الله لا يحب المعتدين .

« ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون » (البقرة : ١٧٩) .

ومن حق المعتدى عليه من الدول ، أن يثأر لنفسه ، ويثور لكرامته ، وأن يسترد بالقصاص ما اغتصب منه ، من أرض ومال ، وأن يحافظ على شرفه ، ويصون منزلته ومكانته . على هذا ينبغي أن تعمل مناهج

التربية الاسلامية على تنشئة الأفراد . ليحافظوا على أوطانهم . ويذودوا عن حمى بلادهم . وليردوا اعتداء المغيرين عليهم في صفوف المقاتلين والمجاهدين .

« ان الله لا يغير ما بقوم . حتى يغيروا ما بأنفسهم » (الرعد : ١١) .

والناس مدعوون في كل المجتمعات . وفي كل الأوقات . الى اجراء عمليات تقويم لأنفسهم ولأعمالهم ولعلاقاتهم ببعضهم بعض . أفراداً . وجماعات . ودولاً ومجتمعات . ليستزيدوا مما يفعلون من خير . ومن علاقات طيبة . ويتخلصوا مما يجدون في صفوفهم من عوج . وما قد يكون بينهم من فساد أو عفن . ليجددوا شبابهم . ويطهروا أنفسهم ويزكوا أعمالهم . فان فعلوا دلك أخذ الله بيدهم . وكان مولاهم وناصرهم . اما من يتراخى ويتكاسل . ويرتضي أن يسري العفن في حياته . ويستولي الضعف والوهن على حركاته وتصرفاته . ثم يمد يديه الى السماء يطلب عون الله . بغير جهد يبذله . ولا عمل يقدمه . فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . وواجب مناهج التربية الاسلامية هنا . أن تعود الناشئة تقويم أعمالهم . ومراجعة تصرفاتهم . وحساب أنفسهم . وان يقوموا المعوج ويستزيدوا مما فيه النفع . ومصلحة الفرد والمجتمع .

« وما كان ربك ليهلك القرى بظلم . وأهلها مصلحون » (هود : ١١٧) .

وقد ضمن الله — سبحانه — لعباده المصلحين . الا يهلك قراهم ظلماً . وألا تبيد مدنهم ودورهم وممالكهم طغياناً وجوراً .

ومناهج التربية الاسلامية مسئولة عن أن تثبت هذه العقيدة في النفوس . حتى يتعلم التلاميذ أن الأمر كله لله . وأن الله لا يظلم الناس « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » (الزلزلة : ٧ . ٨) .

والدول فيما بينها مدعوة الى الاصلاح في أمورها الداخلية والخارجية . وفي علاقاتها الدولية . حتى لا يعتدى عليها . ولا تداس كرامتها .

« يا أيها الذين آمنوا : أوفوا بالعقود » (المائدة : ١)

واحترام المعاهدات والعقود الدولية . واجب يحتمه الاسلام . فذلك من أسباب احترام الدولة نفسها . واحترام غيرها اياها . ومن دواعي العيش في أمن واطمئنان . واحترام العقود بين الأفراد . له نفس التقدير والأهمية . وهو واجب كل فرد . يحفظ حق الله وحق الناس . وهذه صفات ينبغي أن يدرسها التلاميذ . وأن تتضمنها مناهج الدراسة التي يدرسونها . وأن يتعودوا على تطبيقها والسير عليها .

وهناك أسباب كثيرة . لحياة الأمم والشعوب في سعادة وهناء . وفي جوار حسن . خال من الاعتداء . يدعو اليها القرآن الكريم . ويجب أن تحرص مناهج التربية الاسلامية على تأصيلها في جميع النفوس .

« ولو أن أهل القرى آمنوا . واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض . ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون » (الأعراف : ٩٦) .

الايمان والتقوى من أسباب السعادة في حياة الأفراد والأمم والشعوب . ومن أسباب الخير والبركات التي تأتيهم من السماء . ومن الأرض . من حيث لا يحتسبون . أما التكذيب والافساد . والخروج على ما أمر الله به . فان الخمر عاقبته . « ان أخذ ربك أليم شديد » .

« وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة ، يأتيها رزقها رغدا . من كل مكان ، فكفرت بأنعم الله . فأذاقها الله لباس الجوع والخوف ، بما كانوا يصنعون » . (النحل : ١١٢)

« كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر . وتؤمنون بالله » (ال عمران : ١١٠) .

ويجب أن تعلم مناهج التربية الاسلامية التلاميذ ، أن الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والايمان بالله ، هي من الصفات التي بسببها صارت أمة الاسلام خير أمة أخرجت للناس .

وجماع الصفات التي ينبغي أن تنشيء مناهج التربية الاسلامية التلاميذ عليها ، صيانة لحياة الأفراد والمجتمعات . وحفظاً لها من التدهور والانحطاط . قد وردت في قول الله سبحانه وتعالى :

« قل تعالوا ، أتل ما حرم ربكم عليكم : ألا تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين احسانا . ولا تقتلوا أولادكم من أملاق . نحن نرزقكم واياهم . ولا تقربوا الفواحش ، ما ظهر منها ، وما بطن . ولا تقتلوا النفس التي حرم الله . الا بالحق . ذلكم وصاكم به . لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن ، حتى يبلغ أشده . وأوفوا الكيل والميزان بالقسط . لا نكلف نفساً الا وسعها . واذا قلتم فاعدلوا ، ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا . ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون . وأن هذا صراطي مستقيما ، فاتبعوه . ولا تتبعوا السبل ، فتفرق بكم عن سبيله . ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » (الانعام ١٥١–١٥٣)

ح – الانسان والكون :

« خلق السموات بغير عمد ترونها . وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم ، وبث فيها من كل دابة . وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم » . (لقمان : ١٠)

تأخذ مناهج التربية الاسلامية من هذه الآية الكريمة موضوعات كثيرة للدراسة : السموات التي لا تسندها أعمدة . وما فيها من نجوم وكواكب . وما تسبح فيه من أفلاك . وما يترتب عليها من ضوء وظلام ، وحياة وموت ، ومن ليل ونهار ، وما لها من قوانين . وما فيها من نظم . وما تدل عليه من عظمة الخالق . وما يستلزمه ذلك من توحيد والايمان بألوهيته وعبادته .

والأرض ، وما ألقي فيها من رواس ، حتى لا تميد بالناس ، وما في باطنها من معادن . وما لها من طبقات ، وما تحويه من أسرار وكنوز . وما يعيش على ظهرها . أو في باطنها . في الماء او اليابسة من دواب بثها الله فيها . وما ينمو على سطحها . أو في باطنها من أنواع النبات والأشجار ، ومن كل زوج كريم . . في كل شيء آية . تنفع الناس ، وتدل على وحدانية الله . وعلى انه – سبحانه – لا شريك له ، رب العباد . وكلهم عبيده ، يجب أن يخلصوا العباده له .

« خلق السموات والأرض بالحق ، وصوركم فأحسن صوركم . واليه المصير »
(التغابن : ٣)

وينبغي ان تتضمن مناهج التربية الاسلامية . بالاضافة الى دراسة السموات والأرض ، وما فيهما ، وما بينهما . دراسة الانسان من جميع نواحيه . ليرى الناس كيف صورهم فأحسن صورهم . دراسة الانسان من الظاهر . ومن الباطن . أعضاؤه كيف تتكون ؟ وما هي وظائفها ؟ وكيف يحافظ عليها ، العلاقة بينها ، وكيفية تلاحمها ، وما يعتريها من قوة وضعف ، وما يصيبها من اكتمال أو نقص ، وما

شاء الله من صفات . لا نستطيع حصرها . ولا نعرف كنهها . ودراسة الأجهزة التي تعمل في داخل الانسان من رأسه إلى أخمص قدميه ، وما يقوم به كل جهاز من عمل . وما يؤديه من خدمة لحفظ حياة الانسان . وما يفترق فيه الذكر والانثى . وما يلتقيان . وحكمة التزاوج . وكيف أن أسرار الحياة . وحفظ النوع . قد أودعها الله الانسان . وكيف يتطور خلق الانسان من النطفة إلى أن يصبح جنيناً ، يولد . ثم ينمو . ويمر بمراحل القوة والضعف . والصحة والمرض . والهناء والشفاء . وكل ما يمكن أن يصيب الانسان . إلى أن يموت . ويلقى الله . فيحاسبه بما عمل . اليه المصير .

« ان الله فالق الحب والنوى . يخرج الحي من الميت . ومخرج الميت من الحي . ذلكم الله . فأنى تؤفكون ؟ . فالق الاصباح . وجعل الليل سكناً . والشمس والقمر حسبانا . ذلك تقدير العزيز العليم . وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر . قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون . وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة . فمستقر ومستودع . قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون . وهو الذي أنزل من السماء ماء . فأخرجنا به نبات كل شيء ، فأخرجنا منه خضرا . نخرج منه حباً متراكبا . ومن النخيل من طلعها قنوان دانية . وجنات من أعناب ، والزيتون والرمان . مشتبها ، وغير متشابه . انظروا الى ثمره ، اذا أثمر ، وينعه . ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون » (الانعام : ٩٥ — ٩٩) .

يجب أن تكون هناك مواد دراسية بأكملها . ومناهج مستفيضة لكل منها . قائمة على ما ورد في هذه الآيات الكريمة . مما أبدع الله خلقه وتصويره . فللكون ناميسه ونظمه الثابتة المقررة . وعلى الانسان أن يدرس ما يستطيع منها ومن محتوياتها . ويكتشف ما يستطيع اكتشافه من النظم والاسرار ، ليتوصل بذلك الى الايمان بالخالق . وادراك عظمته . فالله لم يخلق الكون لهوا . ولا عبثا . والعقل والتدبر . فيما خلق الله . توصلان الى الايمان بالله . وعبادته وحده . فالعبادة حق الله . وليست لأحد من خلقه . وهناك صلة بين الانسان وبين سائر المخلوقات . وقد أودع الله في الانسان القدرة على تسخير كثير منها . ومن القوى الطبيعية واستغلالها فيما ينفعه . دون اسراف ولا تبذير .

وهذا كله جدير بأن يدرس دراسة مستفيضة بهدف التوصل منه الى معرفة الخالق المنعم . وشكره بالعبادة والطاعة والاذعان . وفي هذه الآيات . وفي كثير غيرها من آيات القرآن الكريم . دعوة الى دراسة العلوم الطبيعية . والعلوم الاجتماعية كالفلك . والرياضيات . والحيوان . والنبات . والتاريخ ، والجغرافيا .

وكل ما ورد في القرآن الكريم من الحقائق العلمية . ليس غاية في ذاته ، وانما هو وسيلة للتعرف على الخالق . وتوحيده بالعبادة . ولذلك فالقرآن ليس كتاباً للاكتشافات العلمية ، وانما هو كتاب في التربية الروحية والخلقية .

ط — الانسان والخالق :

ان اسمى شيء . وأول شيء . ينبغي أن تعمل مناهج التربية الاسلامية على تحقيقه . هو أن يتعرف الدارسون على العلاقة بين الانسان وخالقه . وأن وجود المخلوقات جميعاً . والانسان أحدها ، يرجع الى وجود الخالق ، وابداعه . وعظمته . وحكمته . ورحمته .

« ذلكم الله ربكم ، لا اله الا هو . خالق كل شيء . فاعبدوه . وهو على كل شيء وكيل . لا تدركه الابصار . وهو يدرك الأبصار . وهو اللطيف الخبير » (الانعام : ١٠٢ — ١٠٣) .

« وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » (الذاريات : ٥١)
« وهو معكم أينما كنتم . والله بما تعملون بصير » (الحديد : ٤)
« فاطر السموات والأرض . جعل لكم من أنفسكم أزواجا . ومن الأنعام أزواجا . يذروكم فيه . ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير » (الشورى : ١١) .

التعريف بالله ، الذي لا اله الا هو . الذي خلق الناس ، والأنعام . وخلق كل شيء ، يستلزم عبادته سبحانه ، والاخلاص في هذه العبادة . مراقبة لله وحده . لا خوفا من حاكم ، ولا مراءاة للناس ، ويجب أن يعود التلميذ منذ صغره ، يقظة الضمير . والاخلاص في العمل . واتقان كل شيء يعمله . دون حاجة الى رقيب من البشر . وبغير انتظار الى أن يدفعه ، أو يسوقة أحد الى العمل ، ضميره هو الذي يحثه ، وشعوره هو الذي يحركه . وهو في ذلك كله يراقب ربه وخالقه . وان لم يكن يراه . فان الله مطلع عليه ، ويعلم خواطرة . وهواجسه . وخلجات نفسه ، وهو اللطيف الخبير ، وهو السميع البصير .

وهذا النوع من التربية ، يكوّن المواطن الحي ، اليقظ ، صاحب الضمير . وما أحوج المجتمعات الى هذا الانسان ، الذي نفتقده في كثير من الحالات .

وأهم ما ينبغي أن تحرص عليه مناهج التربية الاسلامية ، أن يقرّ توحيد الله ، في قلب كل انسان ، وعقل كل انسان ، وتنزيهه ، وتنزيها مطلقاً ، عن كل الصفات المادية المحسوسة ، التي تتصف بها المخلوقات ، فالله — سبحانه — منزه عن الندّ ، والشريك ، والمثيل ، وله المثل الأعلى ، في الحق ، والخير ، والجمال ، وهو الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الفعال لما يريد ، لا يتغير ، ولا يحده زمان ولا ولا مكان .
« الله لا اله الا هو ، الحي القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما في السموات وما في الأرض ، من ذا الذي يشفع عنده ، الا باذنه ؟ يعلم ما بين أيديهم ، وما خلفهم ، ولا يحيطون بشيء من علمه ، الا بما شاء (البقرة : ٢٢٥) .

« قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ». (الاخلاص) .
« ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من اله ، اذا لذهب كل اله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون » (المؤمنون : ٩١) .
« قل لو كان معه آلهة — كما يقولون — اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا ، سبحانه وتعالى عما يقولون علوّا كبيراً » . (الاسراء : ٤٢ — ٤٣) .
« لو كان فيهما آلهة الا الله ، لفسدتا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون » (الأنبياء : ٢٢) .
« سبح لله ما في السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم ، له ملك السموات والأرض ، يحيي ويميت ، وهو على كل شيء قدير ، هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم » .
(الحديد : ١—٢) .

التربية الاجتماعيـــة :

وأخذا من كل ما تعرضنا له ، وما سقنا الادلة من القرآن الكريم على صحته ، عند الحديث عما ينبغي أن تكون عليه المناهج في التربية الاسلامية ، لتحقيق التربية الفردية ، يمكن أن نخلص — أيضاً — الى ما تحققه مناهج التربية الاسلامية في التربية الاجتماعية ، فهي تعمل على ما يأتي :

١ ــ بناء مجتمع تسوده تقوى الله . وما يترتب على هذه التقوى من العدل الاجتماعي .
٢ ــ بناء مجتمع مؤسس على الأخوة والتسامح . وقائم على الرحمة . والمحبة . والفضيلة . وحب الخير .
٣ ــ بناء مجتمع مرتكز على الشورى . في أروع صورها . وعلى استغلال الطاقات الفكرية والعقلية لجميع أفراده .
٤ ــ بناء مجتمع تسوده حرية الفكر . ويقوى أركانه تحمل المسئولية .
٥ ــ بناء مجتمع تتحقق فيه الصورة المثلى . للحياة النقية . الطاهرة ، السعيدة .

الزيف والصحيح :

ونعيد ــ مرة ثانية ــ ما سبق أن أكدناه . من أن الهدف الأسمى للتربية الاسلامية هو معرفة الله وتقواه ، وأن كل ما يندرج تحت هذا الهدف الأسمى ، انما هو أهداف فرعية ، أو أهداف قريبة . يجب أن ترتبط جميعها بالهدف الأعلى . وأن تؤدي اليه ، وكل الوسائل التي تستخدم في تحقيق الأهداف : القريبة منها . والبعيدة . الأصلية منها والفرعية . يجب أن تكون على صلة مباشرة بالهدف الأسمى . وان تؤدي اليه . في استقامة ووضوح . ودون لف أو دوران . ونكرر ــ أيضاً ــ أن التربية غير الاسلامية . هدفها النهائي هو الحياة الدنيا . وهي في التربية الاسلامية . وسيلة للهدف الأسمى . وفرق كبير بين أن يكون الشيء غاية تقصد . وهدفاً يسعى الى تحقيقه . وبين أن يكون مجرد وسيلة . تؤدي الى هدف أسمى ، وغاية أعلى . ونخلص من ذلك ــ حتماً ــ الى ان التربية غير الاسلامية . بوسائلها وأهدافها ، اذا صلح شيء منها وسيلة في التربية الاسلامية . فانه لا يمكن أبداً ان يكون غاية . وهدفاً أسمى . ومن هذا المنطق ، يتأكد ــ بغير حاجة الى جدال أو مناقشة ــ أن مناهج التربية الاسلامية ، وكل ما تستخدمه من وسائل ، يجب أن تكون متميزة . وفريدة . ويجب أن تكون أصيلة وحقيقية . لا يتسرب اليها التقليد الأعمى ، ولا تندس في ثناياها المحاكاة الزائفة .

وكم في المناهج غير الاسلامية . من دعاوى . وافتراضات . وخيالات . وأكاذيب ، وأباطيل ، تسربت الى مناهج الدراسة في بلاد المسلمين . وصارت جزءاً أصيلاً من ثقافة الكثيرين . يعرفونها ، ويدافعون عنها . ولا يعرفون الحقائق الأصيلة . التي تدحضها . في تربيتنا الاسلامية ، بل انهم ليتعصبون لها ويشايعونها . ويسخرون ممن يقول بغيرها . لأنها وردت على ألسنة « دارون » و « فرويد » وغيرهما ، ممن يعتبرونهم أصحاب فكر واجتهاد . ورسل مدنية وحضارة . لا يبالون ما خالف دينهم . وما تعارض مع مبادئهم .

الواجب ــ اليوم ــ أن يعاد النظر ــ فوراً ــ في جميع المناهج الدراسية ، في البلاد الاسلامية ، وأن تنقى من الشوائب الدخيلة عليها ، وتطهر من الأخطاء الفاحشة المذكورة فيها . وأن تحل محل ذلك الحقائق العلمية الصحيحة . التي وردت في القرآن الكريم . والتي جاءت في السنة المطهرة .

ونحن ــ بهذا ــ لا ندعو الى الجمود والتخلف ، ولا ننادي بالتحجر والرجعية . وانما نحن داعون الى التمتع بكل ما خلق الله ، والأخذ بنصيب معقول من الدنيا . لا يصرفنا عن هدفنا الأعلى . ولا يشغلنا عن غايتنا السامية . عبادة الله . والعمل للدار الآخرة . ودعوانا ــ دائماً ــ « ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة . وقنا عذاب النار » .

صفات بارزة في مناهج التربية الاسلامية :

ويستطيع المولعون بالمسميات العصرية ، وما تدخل عليهم به التربية العصرية ، من أنه أفكار جديدة ، ونظريات مستحدثة ، أن يجدوا في التربية الاسلامية . كل الجيد مما أدخل عليهم ، وكل الصحيح مما يستهويهم . ولقد سقنا كثيراً من الأدلة القرآنية ، على ما نقول . وما ندعي أننا أشرنا الا الى أقل القليل ، مما هو موجود في القرآن الكريم ، وفي السنة النبوية المطهرة ، مما يجب ان تتضمنه مناهج الدراسة في بلادنا الاسلامية .

(وهذه بعض الصفات البارزة ، التي تميز مناهج التربية الاسلامية)

وهذه بعض الصفات البارزة ، التي تميز مناهج التربية الاسلامية :

١ — المناهج في التربية الاسلامية ، تربي الشخصية المتكاملة ، وتربي الانسان في كل مناحي الحياة ، وتربيه طول الحياة . وهذا أحدث ما تنادي به التربية العصرية .

٢ — مناهج التربية الاسلامية تربي للحاضر وللمستقبل ، وللدنيا والآخرة ، وتربط بينهما .

٣ — تعمل مناهج التربية الاسلامية على غرس الايمان في النفوس ، وعلى تهذيب الأخلاق ، وعلى التزود الدائم من العلم ، وعلى اقتران العلم بالعمل ، وعلى توضيح الرؤية ، وربط الايمان بالخلق ، والعلم بالعمل .

٤ — تتطلب مناهج التربية الاسلامية ، ايجاد صلة روحية بين المعلم والتلميذ ، ليغرس في نفسه الايمان ويصل به الى التصديق ، حيث تبلغ الصلة الروحية في الكشف عن التصديق والايمان ، ما لا يستطيع القياس ووسائله بلوغه .

٥ — تستلزم مناهج التربية الاسلامية ، اعداد المعلم اعداداً جيداً ، وأن يحسن اختياره ، حتى لا تخدعه الظواهر ، وحتى لا يظن أن الطالب قد فهم وآمن ، قبل أن يتحقق ذلك .

٦ — يعتاد الانسان الذي يسير على مناهج التربية الاسلامية ، استخدام العقل والبصيرة ، ويرفض التقليد الأعمى ، والجمود على أفكار الأقدمين ، اذا كانت ضالة ومخطئة ، في كل ما يتعلق بالايمان ، والعلم ، وسائر الأمور .

٧ — مناهج التربية الاسلامية ، توضح الطريق الى أن الايمان بالله ، وثيق الصلة بالايمان بالنظام الكوني ، وترابط أجزائه ، وارتباطه بالنظام الاجتماعي الانساني ، وما يتصل به من واجب الانسان الفرد نحو هذا النظام .

٨ — مناهج التربية الاسلامية تغرس في النفوس أسس السعادة الأبدية ، والاطمئنان الدائم ، عن طريق الايمان بالله ، واحلال الوحدة محل الفرقة ، والنظام محل الفوضى ، والأمل محل اليأس .

٩ — تربي مناهج التربية الاسلامية الانسان على الأخلاق الكريمة الفاضلة ، ولله المثل الأعلى .

١٠ — وتعمل مناهج التربية الاسلامية على تسامي الانسان ، وعلى سعيه لتكميل نفسه ورفعها من الناحية الخلقية ، بكل ما أوتي من قوة .

١١ — تغرس مناهج التربية الاسلامية في النفوس ، الصفات التي يحب أن يتصف بها العلماء : فالعالم يخشى الله ، والعالم مجاهد ، يستزيد دائماً ، وطول الحياة ، من العلم ، ويعرف مكانة العلماء

ومنزلتهم . وأن علم الانسان محدود ، وأن الله فوق كل ذي علم . ولا يدعي ما ليس فيه . ويوسع أفق معرفته . فيدرس الدين . ويدرس النفس . والكون . والتاريخ . والآثار . والنبات . والزراعة . والحيوان . والحياة . وتطور الخلق . والفلك . والاحصاء . والرياضيات . والفيزياء . والكيمياء . والجغرافيا . وطبقات الأرض . والانسان . وتسخير الطبيعة له .

١٢ — ويؤكد منهج التربية الاسلامية تأكيداً شديداً . على العمل الصالح المفيد . فيما يقوم به الانسان نحو خالقه . ونحو نفسه وأسرته . ونحو مجتمعه الانساني . ونحو الخليقة باسرها .

١٣ — يتطلب منهج التربية الاسلامية أن ينشأ الانسان مؤمناً . محباً للخير . عارفاً الحقيقة . عاملاً . لتحقيق وحدة الذات . ووحدة الحياة .

١٤ — يقيس منهج التربية الاسلامية ايمان الشخص . وأخلاقه . وعلمه . بالعمل الذي يؤديه .

١٥ — من الضروري في مناهج التربية الاسلامية . ألا تكون التربية عن طريق الحفظ والتلقين فقط . بل لا بد من التطبيق . ويتحقق بذلك الاسهام في العمل الصالح المفيد . في حياة الفرد ، وفي الأسرة . والمجتمع . والمحيط الانساني كله .

١٦ — مناهج التربية الاسلامية تمزج الايمان والفضيلة . وتوحدهما في حياة عاملة . راضية مطمئنة .

١٧ — وتستخدم مناهج التربية الاسلامية . أساليب مختلفة . وردت في القرآن الكريم . فهي آية في الاعجاز والنفاسة ، ومن بينها :

التربية عن طريق العمل — التكرار — التأثير في النفس — اثارة العواطف — استخدام المنطق — المحاكات العقلية — القصة — الاستجواب — البيان الساحر — الوعظ — الحكم والامثال — القدوة الحسنة — التواصي — تبادل النصح — الترغيب والترهيب — الاعتذار — قبول التوبة والغفران .

ويجب ان يراعى في تطبيق هذه الأساليب . مدى ملاءمتها للدارسين . ومقدار مناسبتها لعقول الأفراد ، وقدراتهم الخاصة . واستعداداتهم ، وظروفهم .

وبعد . فان التربية الاسلامية ثروة تربوية عظمى . في الأهداف . والمناهج ، والأساليب . ومن أهم صفات هذه الثروة أنها واقعية ، وأنها متسامية . وأنها شاملة . ودقيقة غاية الدقة .

فلعل الأوان قد آن لنأخذ بها . حتى نسترد مكانتنا ، ونستحق ما وصفنا به . من أننا « خير أمة أخرجت للناس » .

والله سبحانه وتعالى يهدينا الى الصواب . ويوفقنا الى الأخذ به .